عون الولي الحميد بشرح كتاب التوحيد
للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

الشارح..
الشيخ عصام بن عبد المنعم المري حفظه الله

٦٥-ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه: أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا. وابن سيدنا فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله» رواه النسائي بسند جيد.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول: من قيل له: أنت سيدنا.

الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي».

هذا باب **ماجاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك**.. وهذا الباب يشبه ما سبق مما مر في أول الكتاب من ترجمة المؤلف لباب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك. حماية المصطفى ﷺ

جناب التوحيد.. وهذا الباب حماية النبي ﷺ حمى التوحيد. فما الفرق بين البابين ؟ بعض أهل العلم يقول الفرق أنه في الباب الأول حماية النبي ﷺ جناب التوحيد.. جناب الشيء ركنه، ففي الباب السابق حمى التوحيد نفسه، حمى التوحيد وحمى أركان التوحيد، وفي هذا الباب الذي معنا حمى حِمى التوحيد والحِمى ما يكون حول الشيء لحمايته كالسور أو السياج، عندك مثلا منزل تضع حوله حمى لا أحد يقترب من هذا الحمى، عندك مرعى ترعى فيه الأغنام ونحو ذلك فتضع سياجا حِمى، ألا وإن لكل ملك حمى، فحمى التوحيد السياج الذي يكون حوله، وحماية جناب التوحيد يعني حماية التوحيد نفسه، هذا قول وهو قول وجيه، وبعض أهل العلم قالوا المراد بالباب الأول حماية جناب التوحيد ما جاء في الباب من حمايته من الأفعال التي تناقض التوحيد. وهذا الباب حمايته من الأقوال التي تنقص التوحيد أو تنافي التوحيد.. ولا مانع من القول بالقولين معا.

وهناك فائدة عظيمة من هذا الباب.. إذا حميت حمى التوحيد ووضعت للناس سياجا فهذا أجدر ألا يقعوا فيما يناقض التوحيد. ونحن نسميه بلغة العصر الحصانة، الحصانة العلمية في جانب العقيدة.. التي تحمي الأمة في عقيدتها دائما وخاصة عند الفتن، إذا كان عند الشخص بوجه خاص وعند الأمة بوجه عام سياج يسمى بالسياج الواقي يستطيع أن يبصر الشخص في أيام الفتن والمحن الحق من الباطل، خاصة ما يتعلق بالعقيدة، وما يحصل من لبس وغبش في فهم أمور العقيدة أو الخلط

فيها عند وجود الفتن إنما هو من جراء عدم وجود الحصانة العلمية العقائدية في هـذا الباب .

ولذلك فهذا الباب وهذه الترجمة من الأهمية بمكان وهي تشير إلى ضرورة وجود حصانة عقائدية دائمة بين الناس وأن على الدعاة أن يحصنوا الأمة باستمرار.. لا ننتظر حتى تحصل المشكلة ونبحث عن المخرج أو التصور.. بل يحصنون كما يحصنون من الأمراض الوبائية والأعظم من ذلك الأمراض العقائدية التي تمس عقيدة الإنسان المسلم وتخدش في توحيده وعقيدته، فعقيدة المسلم أولى بالتحصين من تحصين البدن..

فينبغي على الدعاة الذين يصعدون المنابر أو يتكلمون بين الناس في الكلمات والمحاضرات أن يحرصوا على هذا الأمر الخطير.. إيجاد حصانة عقائدية مستمرة تحصن الأمة في تصوراتها وعقائدها.. ولا ننتظر حتى يحصل المرض ويحصل الخلط ونبدأ نسأل ونتكلم ونستفسر..

قوله : «**باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده كل طرق الشرك**» بعدما تكلم المؤلف عن التوحيد بالتفصيل وتكلم عن ضد التوحيد وهو الشرك أيضا بالتفصيل أراد أن يعقد هذا الباب لسد الذرائع الموصلة إلى الشرك لحماية التوحيد.. سد الطرق التي توصل إلى الشرك في الأقوال والأعمال أو الأفعال لحماية التوحيد.. وقاعدة سد الذرائع في الشريعة قاعدة مقررة ومستقرة وورد على هذه القاعدة أكثر من مئة دليل كلها في تقرير قاعدة سد الذرائع سواء كان ذلك في العقيدة يعني في التوحيد أو كان ذلك في أبواب المعاملات كالربا وسد الطرق المفضية إلى الربا..

كذلك في الأعراض واختلاط الأنساب والوقوع في الفواحش بسد الطرق الموصلة إلى ذلك ابتداء بغض البصر ومنع الخلوة ومنع الدخول على النساء المغيبات إلى غير ذلك.. قاعدة عظيمة قاعدة سد الذرائع وهي موجودة بأدلتها وأمثلتها في كتب المقاصد التي تتكلم على مقاصد الشريعة..

فالمقصد من هذا الباب سد الذرائع الموصلة إلى الشرك في الأقوال لحماية التوحيد ولحماية جناب التوحيد.

وفيه بيان تعلم الأدب في الألفاظ في جانب الرب جل وعلا.. الأدب في الأقوال أو الألفاظ فيما يتعلق بالربوبية أو يتعلق بأسماء الله جل وعلا وصفاته.

وفي هذا الباب أيضا من الفوائد بيان أهمية الاقتصاد في القول والفعل.. الإنسان إذا أراد أن يصل لشيء فإنه يصل إليه من أقرب طريق لأن الإنسان كلما كثر كلامه كثر خطؤه.. خاصة ما يتعلق بمسائل العقيدة، ينبغي للإنسان الذي يتكلم فيها أن يكون حذرا في كلماته لأن الخلط فيها خطير.. والخطأ فيها كبير.. وكذلك في أهمية حفظ اللسان.. وكذلك التأدب مع الأنبياء والصالحين والعلماء بما يليق بهم بدون غلو ولا إفراط لأن المؤلف عقد بابا فيما سبق وهو : باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.. مثلما سيأتي في هذا الباب.. فينبغي التأدب مع أهل الفضل وأهل العلم بدون إفراط ولا تفريط .

وسيظهر من الباب أن كثيرا من الأمم هلكت بسبب الغلو ومن هؤلاء النصارى كما جاء في الحديث المتفق عليه «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فما

وقع فيه النصارىٰ من الشرك من أسبابه الغلو والإفراط في المحبة التي خرجت من المحبة إلىٰ العبادة..

وقد وجد من هذه الأمة من فعل ما فعلته النصارىٰ بل زادوا عليهم، ومن ذلك قول صاحب البردة :

دع ما ادعته النصارىٰ في نبيهمو واحكم بما شئت فيه واحتكم

يعني يقول لك البوصيري تجنب فقط ما فعلته النصارىٰ في عيسىٰ وهو زعمهم أنه ابن الله، واحكم بما شئت: يعني في نبينا ﷺ واحتكم.. قل ما شئت في نبينا ﷺ واحتكم ولكن لا تقل هذه القولة التي قالتها النصارىٰ في عيسىٰ أنه ابن الله، ما عدا ذلك قل ما شئت، فهذا الذي جرأ البوصيري أن يقول في بردته المشهورة :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فقوله فإن من جودك الدنيا وضرتها.. يعني الآخرة..

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

يعني هذا الذي جرأ البوصيري صاحب البردة في المدائح النبوية أن يصل إلىٰ هذا الكلام الغالي المفرط.. لأنه قال: دع ما ادعته النصارىٰ في نبيهم.. واحكم بما شئت فيه واحتكم.. إذا ابتعدت عن قضية أن عيسىٰ عليه السلام أو نبينا ﷺ ابن الله قل ما شئت بعد ذلك فهو في أبياته تلك جعل للنبي ﷺ كل شيء وهضم حق الرب جل وعلا فجعل له الدنيا والآخرة.. فإن من جودك الدنيا وضرتها.. يعني الدنيا والآخرة من جوده ومن عطائه ﷺ.. ومن علومك علم اللوح والقلم: فهو يعلم ما

في اللوح وما كتب القلم.. إن لم تكن في معادي: يعني يوم القيامة.. آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم.. يعني ضاع وهلك إن لم يكن النبي ﷺ هو الذي يأخذ بيده.. ﴿**قل لله الشفاعة جميعا**﴾ ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ نسي كل هذا وترك كل هذا.. فهذا غلو في النبي ﷺ وسيأتي في أحاديث الباب كيف سد النبي ﷺ وأغلق هذا الباب الخطير بكلمات قالها بعض الناس، مجرد كلمات قالوها فيها بعض الحق.. لكن منعها النبي ﷺ وجعل تلك الكلمات من استجراء الشيطان واستغوائه .

فهذا الباب فيه حماية جناب التوحيد أو حماية حمى التوحيد في باب الأقوال.. بالتأدب والتحقق في كلمات الإنسان وفي أقواله.

قوله : « **عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه** » وهو عبد الله بن كعب العامري والد الفقيه العابد المعروف مطرف بن عبد الله بن الشخير، أسلم يوم الفتح وله صحبة وله رواية..

قوله « **قال: انطلقت في وفد بني عامر** » مطرف يروي عن أبيه عبد الله أنه انطلق في وفد بني عامر، هذا الوفد جاء في عام الوفود، وعام الوفود كان في السنة التاسعة بعد فتح مكة.. « **انطلقت في وفد بني عامر** » عامر هذا هو عامر بن صعصعة من عدنان، عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب جاء في وفد.. هذا الوفد ذكره ابن القيم في زاد المعاد في المجلد الثالث في قصة رواها عن البيهقي قال ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد: ذكر وفد بني عامر ودعاء النبي ﷺ على عامر بن الطفيل وكفاية الله شره وشر أربد.. يعني واحد اسمه أربد بن قيس جاء مع عامر بن الطفيل بعد أن عصم منهما نبيه ﷺ.. قال ابن القيم: روينا في كتاب الدلائل للبيهقي عن يزيد

بن عبد الله أبي العلاء قال: وفد أبي في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقالوا أنت سيدنا.. هذا حديث الباب.. أنت سيدنا وذو الطول علينا.. ذو الفضل علينا كما سيأتي التفسير.. فقال: «**مه مه قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان السيد الله**» هذا أحد روايات حديث الباب..

ثم قال: روينا عن ابن إسحاق.. صاحب المغازي الإمام المعروف في المغازي قال: لما قدم على رسول الله وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى وكان هؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم.. يعني كان هؤلاء رؤساء أقوامهم وفي نفس الوقت كانوا شياطين في مكرهم وخبثهم وحربهم.. فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به.. يريد أن يغدر به.. فقال له قومه: يا عامر إن الناس قد أسلموا.. فقال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي.. يعني يريد أن تكون له السيادة والشرف ولا يريد أن يعلوه أحد لا النبي ﷺ ولا غيره.. وأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش.. يعني يكون هو تبعا للنبي ﷺ.. ثم قال لأربد صاحبه: إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه.. يعني سأشغله عنك حتى تقتله.. فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف.. يعني أنا سأشغله ثم اضربه أنت بالسيف.. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر.. يعني قال للنبي ﷺ: يا محمد خالني. يعني اجعلني أخلو بك لأكلمك.. قال: «**لا والله حتى تؤمن بالله وحده**» فقال: يا محمد خالني.. فقال: «**حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له**» يعني لم يرض أن يخلو به.. فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال له: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا يتهدد النبي ﷺ.. فلما ولى.. يعني عامر.. قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اكفني**

عامر بن الطفيل» فلما خرجوا من عند الرسول ﷺ قال عامر لأربد صاحبه: ويحك يا أربد أين ما كنت أمرتك به.. يعني لم تتدخل بيننا ولم تضربه بالسيف كما أمرتك.. قال له أربد: لا أبا لك.. لا تعجل علي.. فوالله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلتَ بيني وبين الرجل أفأضربك بالسيف.. يعني كلما أردت أن أضرب النبي ﷺ وجد أن عامرا دخل بينه وبين النبي ﷺ فإذا أراد أن يضرب النبي ﷺ فإنه سيضرب عامرا.. يقول أفأضربك بالسيف؟ يعني كفاه الله جل وعلا شرهما.. ثم خرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول ثم خرج أصحابه حين رأوه حتى قدموا أرض بني عامر أتاه قومه فقالوا ما وراءك يا أربد؟ قال: لقد دعاني إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي فأرميه بنبلي هذا حتى أقتله.. فخرج بعد مقالته بيوم أو بيومين معه جمل يستبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.. يعني أحرقته والجمل.. إذا الأول مات بالطاعون أو بقرحة كما جاء في بعض الروايات وذاك الثاني مات بالصاعقة وكان أربد أخا للبيد بن ربيعة فبكاه ورثاه.. هذا مأخوذ ذكر ذلك ابن هشام .

وذكر أيضا في رواية أن عامر بن الطفيل قال للنبي ﷺ: أخيرك بين ثلاث خصال.. يعني يخيره بين ثلاث خصال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر.. يعني يقسم الناس، يريد أن يقتسم الملك.. يعني الطمع والعياذ بالله وحب الرئاسة وشهوة الملك جعلت هذا يكفر والعياذ بالله إلا أن ينال طلبه يقتسم مع النبي ﷺ الأرض والناس، يكون هذا له أهل المذر يعني له أهل البلاد والحضر والثاني له أهل السهل..

أو أكون خليفتك من بعدك.. يجعل له الخلافة.. أو أغزوك بغطفان.. بقبيلته.. بألف أشقر وألف شقراء.. يقصد الغزو والقتال يعني إما أن يعطى ما يريد أو يقاتل.. فطعن في بيت امرأة، فركب فمات على ظهر فرسه.. ذكره في كتاب المغازي

فهذه باختصار قصة وفد بني عامر .

من إرادته الملك والرئاسة وكفره بسبب ذلك حتى خلص الله جل وعلا منه المسلمين ونبينا ﷺ بأن مات بالطاعون..

قال عبد الله بن الشخير « **انطلقت في وفد بني عامر** » وعرفنا أنه في السنة السادسة في عام الوفود « **إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلنا فضلا** » أفضلنا فضلا: يعني فضلك أفضل من فضلنا « **وأعظمنا طولا** » والطول الغنى والعطاء أو الفضل كذلك.. كما قال تعالى ﴿**ومن لم يستطع منكم طولا**﴾ يعني ليس عنده مال ليس عنده غنى ﴿**شديد العقاب ذي الطول**﴾ يعني ذو الغنى والعظمة.. « **فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»** ».. قوله: « **فقلنا: أنت سيدنا** » لماذا قالوا هذا؟ قال أهل العلم: أن من عادة العرب أن يكون لهم أسياد في قبائلهم . فكانوا يدخلون على الأسياد ويطلقون عليهم أو يخاطبونهم بهذه الألفاظ التي فيها التعظيم والتبجيل فظنوا أن النبي ﷺ مثل هؤلاء، شرفه أو مكانته استقاها من الدنيا ومن حظوظ الدنيا كما فعل أسياد هؤلاء ولم يعرفوا أن شرف النبي ﷺ من كونه عبدا رسولا. لم يعرفوا هذا فأرادوا أن يخاطبوه بما يخاطبون به أسيادهم وساداتهم في قبائلهم، فقالوا له: أنت سيدنا.. « **فقال: «السيد الله تبارك وتعالى»** » يعني الذي له السؤدد على الحقيقة الذي له

السيادة الكاملة المطلقة هو الله سبحانه وتعالى أما سيادة أي مخلوق فهي سيادة نسبية إضافية كمن يسود قومه من أجل أنه يرأسهم في العمل.ومن يسود قومه من أجل غناه بينهم، واحد قد يسود قومه من أجل شرفه فيهم، ونحو ذلك، كما سنأخذ الآن في الأمثلة، أما السيادة المطلقة فهي لله سبحانه وتعالى.. هو المالك المولى جل وعلا الذي بيده ملك كل شيء وكل ما في مملكته فهم عبيد له مملوكون له.. «**السيد الله تبارك وتعالى**».. كلمة السيد تطلق على معان كثيرة منها ما ذكرته.. المالك والمولى والرب، هل يصح إطلاق لفظ السيد على المخلوق أم لا؟ هذا مبحث هذا الباب في الحقيقة، يعني قوله ﷺ « **السيد الله تبارك وتعالى** » وقوله بعد ذلك «**لا يستجرينكم الشيطان**» هل هذا فيه منع إطلاق السيادة أو منع إطلاق كلمة السيد على المخلوق أم لا.. هذا هو المبحث الآتي .

وردت نصوص عديدة في الكتاب والسنة فيها إطلاق كلمة سيد على المخلوقين.. من ذلك ما جاء في قوله تعالى في سورة يوسف ﴿**وألفيا سيدها لدى الباب**﴾ وقوله عن يحيا ﴿**وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين**﴾ أما في الأحاديث فقد جاءت عدة أحاديث من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع**» وكذلك ما جاء في صحيح البخاري عن الحسن «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين**» وكذلك ما جاء في الصحيحين في قصة سعد بن معاذ في حكمه في بني قريظة «**قوموا إلى سيدكم**» وكذلك ما جاء في مسند أحمد «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» وكذلك ما جاء في الصحيحين: «**إذا نصح العبد سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين**» ومر بنا حديث «**لا يقل**

أحدكم أطعم ربك وضئ ربك وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي» متفق عليه.. وكذلك ما رواه البخاري من حديث جابر «**أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا**» يعني أعتق بلالا.. هذه الأدلة تدل على ورود ووجود كلمة سيد في النصوص مضافة والحديث الذي معنا ظاهره المنع لأنه نهاهم قال لهم « **قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان** » وقبل ذلك قال: « **السيد الله تبارك وتعالى** »..

أهل العلم أرادوا أن يجمعوا بين هذه النصوص فابن القيم رحمه الله تعالى في النونية قال:

وهو الإله السيد الصمد الذي صمدت إليه الخلق بالإذعان

الكامل الأوصاف من كل الوجوه كماله ما فيه من نقصان

فهذه الأبيات لابن القيم فيها إطلاق اسم السيد على الله جل وعلا..

وابن عباس ذكر المفسرون عنه أنه كان يقول في قوله تعالى ﴿**الصمد**﴾ السيد الذي كمل في سؤدده.

وأيضا في قوله تعالى ﴿**قل أغير الله أبغي ربا**﴾ أي إلها وسيدا.

وعدد من أهل العلم أطلقوا هذا الاسم على الله جل وعلا منهم الحافظ الأصبهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة قال: ومن أسمائه تعالى السيد وهذا اسم لم يأت به الكتاب وإنما ورد في الخبر عن النبي ﷺ. يعني في الحديث..

وجاء حديث في مسند أحمد مختصره أن الملائكة ضربت مثلا للنبي ﷺ وما جاء به من الوحي.. فقال بعضهم لبعض: هلم فلنضرب له مثلا.. وفي آخر هذا الحديث

أما السيد فهو رب العالمين وأما البنيان فهو الإسلام والطعام الجنة وهو الداعي فمن اتبعه كان في الجنة، يعني النبي ﷺ.. المسند ١/ ١٩٩

واسم السيد فيه من صفات الكمال والجلال فالسيد تطلق على المالك وعلى الرب وعلى الشريف ومعناه الذي له السؤدد والسيادة الكاملة.. ذو السيادة والشرف.. فصح أن يؤخذ من هذا الحديث هذا الاسم لله جل وعلا لاشتماله على هذه الصفة الجليلة التي فيها معاني العظمة والسؤدد والشرف . وممن ذكره في الأسماء شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في كتابه القواعد المثلى وقد ذكرته في كتابي المطلب الأسنى في الأسماء الحسنى وذكرت الحديث بإسناده وتخريجه والكلام على معنى هذا الاسم فذه المسألة الأولى.

وهنا مسألة : هل يصح تسمية المخلوق بهذا الاسم أم لا ؟ وفي هذا الحديث يظهر لك أن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إليهم إشارة بإنكار قولهم على اختلاف بين أهل العلم هل هذا فيه تصريح بالإنكار أم فيه إرشاد إلى الأولى.. عندما قال لهم «**قولوا بقولكم لا يستجرينكم الشيطان**» أو «**لا يستهوينكم الشيطان**» هل هذا فيه إنكار عليهم أن قالوا له يا سيدنا أم هذا فيه إرشاد إلى الأولى.. على قولين لأهل العلم .

وقد ذكرنا فيما سبق عددا من النصوص التي وردت فيها تسمية بعض الناس أو إطلاق هذا اللقب أو هذا الاسم على عدد من الأشخاص.. «**إن ابني هذا سيد**» وقبل ذلك في كتاب الله ﴿**وألفيا سيدها لدى الباب**﴾ إلى غير ذلك من الأدلة التي

ذكرناها وأهل العلم في هذا على أقوال: هل يصح تسمية أو إطلاق اسم السيد على المخلوق أو لا ؟ الإمام مالك يرى المنع مطلقا.. هذه الأقوال ذكرها ابن القيم في بدائع الفوائد والشيخ عبد الرحمن بن حسن الشارح نقلها منه، فالقول الأول المنع مطلقا وهو قول الإمام مالك، ودليله أن هذا الحديث الذي معنا كان في عام الوفود.. هذا الإنكار كان في عام الوفود فيقول بأن هذا متأخر وذاك متقدم فيعتبر ناسخا لما سبق من جواز الإطلاق، كالأحاديث التي فيها «**قوموا إلى سيدكم**» ونحو ذلك، لكن هذا لا يسلم لأنه إذا صح هذا النسخ في حديث كحديث «**قوموا إلى سيدكم**» في قصة سعد بن معاذ فإنه يحتاج إلى التواريخ التي تثبت أن باقي الأدلة التي ذكرناها كانت متقدمة على عام الوفود، من قوله «**إن ابني هذا سيد**» وقوله «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» و «**إذا نصح العبد سيده**» إلى غير ذلك.. فهذا قول الإمام مالك .

القول الثاني: أن هذا مكروه كراهة تنزيهية، يعني ليست تحريمية وإنما كراهة تنزيهية .

القول الثالث: الجواز مطلقا إلا إذا خيف الغلو.. إذا خاف الإنسان أن يحصل هناك غلو في الشخص المقول له هذه الكلمة لأن كلمة سيد في الأصل إذا روعي فيها الصفة فإنه يكون فيها نوع من المدح.. كإذا قيل أنت سيد.. أو أنت سيدنا أو يا سيدنا.. هذه كلمة تقال على سبيل المدح، يراعى ذلك. فالقول الثالث الجواز إلا إذا خيف الغلو يعني في الشخص الممدوح، وأن يصاب بالعجب مثلا أو يعتقد فيه ما ليس فيه.

القول الرابع: المنع إذا أريد بإطلاقه على من يعتقد فيهم النفع والضر.. كما يطلقونه على السيد البدوي لأنهم يعتقدون فيه أنه ينفع ويضر وكما يطلقونه على بعض النسل، نسل فاطمة رضي الله عنها الأسياد والأشراف البعض منهم يعتقد أنه لبعض هؤلاء تحكم في الكون أو نحو ذلك على بعض اعتقادات الصوفية ومن يمشي في دربهم.. هذه ملخص الأقوال .

قال الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري المجلد الخامس يقول: يمكن الجمع بأن يحمل النهي على ذلك على إطلاقه على غير المالك.. يعني النصوص جاءت بقول العبد لسيده يا سيدي والسيد مالك.. فيقول الحافظ يحمل النهي على إطلاقه على غير المالك.. يعني المالك يقول له العبد يا سيدي لأنه فعلا يملك هذا العبد ويملك التصرف فيه وغير المالك ليس كذلك.. والإذن بإطلاقه على المالك، يعني أن غير المالك لا يقال له سيد وإنما يقال لمالك العبد يا سيدي . فهذا قول الحافظ ابن حجر .

والمناوي يقول كما في فيض القدير: استعمال السيد في غير الله شائع ذائع في الكتاب والسنة.. كلمة السيد استعمالها لغير الله منتشر في النصوص، يعني حتى في غير الأشخاص، عندك مثلا في الأقوال سيد الاستغفار، سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت.. إلى آخره.. ومثلا يوم الجمعة سيد الأيام وقس على ذلك، يعني حتى في غير الأشخاص توجد في الأقوال، فيقول المناوي استعمال السيد في غير الله شائع ذائع في الكتاب والسنة، وينقل عن النووي أنه قال: استعماله على جهة التعاظم لا التعريف.. التعريف بالشخص.. كأن يقال من هذا؟ هذا فلان كذا.. سيد علي أو

السيد ابن أحمد أو السيد ابن علي.. يقول النووي: المنهي عنه استعماله على جهة التعاظم لا التعريف.. يعني كأن النووي الآن يصرح بأنه لا بأس باستعماله على جهة التعريف بالشخص لا على جهة التعظيم أو التعاظم..

ووجدت في نسختي على زاد المعاد تعليقا للشيخ ابن باز يقول: لا يطلق السيد على شخص على سبيل التبجيل إلا أن يكون معروفا باسم السيد فلا بأس.. لا يطلق السيد على شخص على سبيل التبجيل.. يعني التعظيم.. إلا أن يكون هذا الشخص معروفا بالسيد فلا بأس بذلك، يعني هنا على سبيل التعريف، وسيأتي من كلام الشيخ ابن عثيمين ما يؤيد هذا.. أن هذا يكون على سبيل التعريف مع عدم مراعاة الصفة والوصف.. مثل ما تقول فلان السعيد وقد يكون السعيد هذا بئيسا وقد يكون تعيسا.. فلان الراشد أو الرشيد أو رشيد وقد يكون ضالا فلا تراعي الصفة فإذا راعيت الصفة فلا يجوز . إذا قلت فلان السيد وراعيت صفة السيادة والسؤدد والسيادة المطلقة فهذه السيادة المطلقة لا تصح إلا لله جل وعلا فهو السيد بإطلاق وهو المالك بإطلاق وهو العظيم بإطلاق جل وعلا. إذا يصح أن تطلق على الشخص هذه الكلمة أو هذا اللفظ بشرط أنك لا تراعي فيها معنى الصفة صفة السؤدد والسيادة ولكن تقصد بهذا مجرد التعريف فقط به، أن هذا فلان المسمى بهذا الاسم وقد تكون فيه بعض هذه الصفة وقد لا تكون.. أما السيد بإطلاق فلا يطلق إلا على الله جل وعلا فهو مالك الملك وكل من في ملكوته تحت تصرفه وفي قبضته جل وعلا.. انتهى النقل عن الشيخ ابن باز.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه : تحفة المودود في أحكام المولود :

{ ولا ينافي هذا ـ يعني قول السيد الله ـ قوله «**أنا سيد ولد آدم**» يجمع بين الأقوال فإن هذا إخبار منه عما أعطاه الله من سيادة النوع الإنساني ؛ يعني أنا سيد ولد آدم هذا إخبار من الرسول ﷺ بالشرف الذي أعطاه الله جل وعلا لأنه ساد النوع الإنساني ساد البشر ؛ وفضله وشرفه عليهم.. ثم يقول : وأما وصف الرب تعالى بأنه السيد فذلك وصف لربه على الإطلاق فإن سيد الخلق هو مالك أمرهم الذي إليه يرجعون وبأمره يعملون وعن قوله يصدرون .. فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقا له سبحانه وتعالى وملكا له ليس لهم عنه غنى طرفة عين وكل رغباتهم إليه وكل حوائجهم إليه كان هو سبحانه السيد على الحقيقة .. إذا كان الخلق كلهم يحتاجون إلى ربهم جل وعلا وهو المتصرف فيهم لا غنى لهم طرفة عين عنه فهو السيد على الإطلاق وعلى الحقيقة «**السيد الله تبارك وتعالى**»..

ثم يقول: قال ابن عباس: السيد الذي كمل في سؤدده.. يعني كمل في سيادته.

ثم يقول: والمقصود أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله المختصة به.. مثل الجبار والمتكبر أما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالسميع والبصير ؛ أما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالرؤوف والرحيم ﴿**إنه بهم رؤوف رحيم**﴾ ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**﴾ فيجوز أن يخبر بمعاني مثل هذه الصفات على المخلوق ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث تطلق عليه

كما يطلق على الرب تعالى.. يعني لا يجوز أن يقول فلان هذا السميع بإطلاق.. البصير.. بإطلاق.. لا.. الأسماء هذه تطلق على الله جل وعلا بهذا الإطلاق، هو السميع والبصير والسيد وهو الرب جل جلاله.. هذا كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في تحفة المودود، وأيضا له كلام آخر في الزاد لكن هذا خلاصته..

وللشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الفتاوى بعض الفوائد في الجمع بين هذه الأقوال وفيها زيادات في مباحث إطلاق كلمة السيدة على المرأة هل يصح أم لا ومبحث آخر في إطلاق التسييد في الأذان أو في التشهد هل يصح أم لا .

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى عن الجمع بين الأحاديث : «**السيد الله تبارك وتعالى**» وحديث «**أنا سيد ولد آدم**» و«**قوموا إلى سيدكم**»؟ فذكر أن هذا فيه أقوال وأن القول الأول أن هذا على سبيل الأدب.

القول الثاني أن هذا إذا خشيت المفسدة .

القول الثالث أن النهي إذا كنت تخاطب شخصا في وجهه أما إذا كنت تتكلم عن غائب فلا بأس بذلك .

ثم يقول الشيخ: والذي يظهر لي والله أعلم أن هذا جائز لكن بشرط.. يعني ترجيح الشيخ أن هذا جائز لكن بشرط: أن يكون الموجه إليه السيادة أهلا لذلك التسييد .. وألا يخشى محذور من إعجاب المخاطب.. لا تخاف أن يحصل له نوع من الإعجاب والعجب بهذا المدح.. وخضوع المتكلم.. المتكلم نفسه الذي يقول له يا فلان أو يا سيدنا لا يحصل عنده نوع من الخضوع والخنوع الذي يكون في العبادة..

يقول الشيخ : أما إذا لم يكن أهلا لذلك كما لو كان فاسقا أو زنديقا فلا يقال له ذلك حتى لو فرض أنه في مرتبة أعلى منه . وقد جاء في الحديث: «**لا تقولوا للمنافق سيدا فإنكم إذا قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم**» يعني إذا وجد منافق أو فاسق في مكان ما فلا تخاطبه بهذا اللفظ لأن هذا الحديث نص واضح « **لا تقولوا للمنافق سيدا فإنكم إذا قلتم ذلك فقد ... ربكم** » قد يبتلى الإنسان مثلا بمدير أو برئيس عمل إنسان فاسق أو ماجن فيضطر الإنسان أحيانا يكتب في المخاطبات الرسمية خاصة عندنا هذه كلمة سائرة السيد المحترم فلان.. الإنسان إذا وجد أن الشخص الذي أمامه لا يستحق هذه الكلمة يتجنبها.. ويقول المحترم أو المكرم.. ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾ وما شاكل ذلك.. أو الأستاذ فلان الفلاني.. يتجنبها بقدر الإمكان، يعني قد تلاحظ وقد لا تلاحظ على كل حال كل إنسان رقيب على نفسه ينظر الأصلح في ذلك.. قد يقول سعادة المكرم أو المحترم أو الأستاذ ونحو ذلك .

فيقول الشيخ: وقد جاء في الحديث «**لا تقولوا للمنافق سيدا فإنكم إذا قلتم ذلك أسخطتم الله**» وكذلك لا يقال إذا خشي محذور من إعجاب المخاطب.. إعجاب المخاطب بنفسه أو خضوع المتكلم .

وقال أيضا في جواب آخر في مجموع فتاوى الشيخ جواب آخر يقول إطلاق السيد على غير الله تعالى : إطلاق السيد على غير الله تعالى إذا كان يقصد معناه وهو السيادة المطلقة فهذا لا يجوز، وإن كان يقصد مجرد الإكرام ـ تريد تكريم هذا الشخص بإطلاق هذا اللفظ لأنه إنسان له مكانة أو له وجاهة أو له شرف ـ وإن كان يقصد

مجرد الإكرام فإن كان المخاطب به أهلا للإكرام فلا بأس به ولكن لا يقول السيد بل يقول سيد .

فإذا كان يقصد بهذا السيادة المطلقة فهذا لا يجوز لأن السيادة المطلقة لله جل وعلا.. السيادة المطلقة الكاملة لله جل وعلا وهو الذي له السؤدد الكامل والعظمة الكاملة سبحانه وتعالى التامة ؛ وإن كان يقصد مجرد إكرام الشخص الذي يستحق الإكرام وليس منافقا وليس فاسقا للحديث فإنه لا بأس أن يقول له يا سيد ؛ وقد يقول : يا سيدنا فلان يا سيد كذا أو نحو ذلك وإن كان لا يقصد به السيادة والإكرام وإنما هو مجرد اسم فقط فهذا لا بأس به ؛ كمن سماه أبواه بهذا الاسم ؛ ولا يراعى فيه قضية أنه عظيم أم غير عظيم أو شريف أو غير شريف له مكانة أو له وجاهة أو غير ذلك ، بل مجرد أنه سمي بهذا ويدعى به .

أيضا جواب الشيخ أيضا على سؤال آخر يقول: لا يستحق أحد أن يوصف بالسيادة المطلقة إلا الله عز وجل فالله تعالى هو السيد الكامل السؤدد ؛ أما غيره فيوصف بسيادة مقيدة مثل سيد ولد آدم لرسول الله ﷺ، والسيادة قد تكون بالنسب وقد تكون بالعلم وقد تكون بالكرم وقد تكون بالشجاعة ، يعني إنسان يسود قومه لشجاعته ، إنسان يسود قومه بكرمه إنسان يسود قومه بالعلم، وقس على ذلك، وقد تكون بالملك كسيد المملوك ، وقد تكون بغير ذلك.. وقد يقال للزوج سيد بالنسبة لزوجته كما في قوله تعالى ﴿**وألفيا سيدها لدى الباب**﴾ .

الفائدة الأخيرة في كلام الشيخ ابن عثيمين في الجمع بين الأحاديث يقول: لا يرتاب عاقل أن محمدا ﷺ سيد ولد آدم فإن كل عاقل مؤمن يؤمن بذلك والسيد هو ذو

الشرف والطاعة والإمرة وطاعة النبي ﷺ طاعة لله ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ ونحن وغيرنا من المؤمنين لا نشك أن نبينا ﷺ سيدنا وخيرنا وأفضلنا عند الله سبحانه وتعالى ؛ كل واحد من أهل الإيمان يعترف بهذا لكن الخلاف في إطلاق هذه الكلمة ؛ وأنه المطاع فيما يأمر به صلوات الله وسلامه عليه.. ومن مقتضى اعتقادنا أنه السيد المطاع ﷺ ألا نتجاوز ما شرع لنا من قول أو فعل أو عقيدة ، يعني هو الآن يريد أن يتوصل إلى مسألة الاتباع.. إذا كنت فعلا تعتقد أنه سيد اتبع هذا السيد المطاع لأن من معاني السيد المطاع.. وقد يأتيك من العوام أو من غير العوام من يجادلك في هذا : ويقول لماذا لا تسيد في الأذان لماذا لا تسيد في الصلاة فتقول له إذا كنت أنت تعتبره سيدا عليه الصلاة والسلام وهو مطاع فعليك أن تتبعه فيما أتى به، ومما أتى به أنه لم يأمرنا أن نسيده لا في الأذان ولا في التشهد للصلاة وكذلك الأذكار المذكور فيها ﷺ . الشيخ يريد أن يصل لهذه المسألة المهمة..

يقول: ومن مقتضى اعتقادنا أنه السيد المطاع ﷺ ألا نتجاوز ما شرع لنا من قول أو فعل أو عقيدة ومما شرعه لنا في كيفية الصلاة عليه في التشهد أن نقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ؛ أو نحوها من الصفات الواردة في كيفية الصلاة عليه ﷺ ؛ وإذا لم ترد هذه الصيغة عن النبي ﷺ فلا ينبغي أن نصلي على النبي ﷺ بها ؛ وإنما نصلي عليه بالصيغة التي علمنا إليها . لأن السائل سأله عن هذه الصيغة : «**اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد**» فهذه الصيغة لم ترد في كتاب من كتب السنة بل الوارد ما علمنا إياه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .

يقول الشيخ: وبهذه المناسبة أود أن أنبه إلى أن كل إنسان يؤمن بأن محمدا ﷺ سيدنا فإن مقتضى هذا الإيمان ألا يتجاوز الإنسان ما شرعه وألا ينقص عنه ، يعني إذا كنت صادقا في اعتقاد السيادة له ﷺ السيادة المقيدة بأنه سيد ولد آدم فإنه ينبغي عليك ألا تزيد عليه ولا تنقص.. لأن السيد هو المطاع.. فلا يبتدع في دين الله ما ليس منه ولا ينقص من دين الله ما هو منه فإن هذا هو حقيقة السيادة التي هي من حق النبي ﷺ ؛ وعلى هذا فإن أولئكم المبتدعة لأذكار أو صلوات على النبي ﷺ لم يأت بها شرع الله ؛ مثل صلاة الفاتح.. اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق.. والصلاة التيجانية وعندهم الصلاة هذه أفضل من قراءة القرآن بكذا ألف مرة ؛ إلى آخره.

يقول: لم يأت بها شرع الله تنافي دعوى أن هذا الذي ابتدع يعتقد أن محمدا ﷺ سيد لأن مقتضى هذه العقيدة ألا يتجاوز ما شرع ؛ إذا كان فعلا هو متمسك بمعنى هذه اللفظة.. قد يأتي من العوام من يجادلك مجادلة كبيرة .

ثم قال الشيخ في نهاية كلامه في مسألة مهمة في تسييد المرأة سئل عن عبارة السيدة عائشة رضي الله عنها.. قول بعض الناس السيدة عائشة رضي الله عنها مثلا؟ فأجاب بقوله :

لا شك أن عائشة رضي الله عنها من سيدات نساء الأمة ولكن إطلاق السيدة على المرأة والسيدات على النساء هذه الكلمة متلقاة فيما أظن من الغرب ؛ حيث يسمون كل امرأة سيدة وإن كانت من أوضع الناس ؛ يعني لو كانت امرأة حقيرة أو امرأة فاسقة أو امرأة خبيثة يسمونها سيدة ؛ لأنهم يسودون النساء أي يجعلوهن سيدات مطلقا.. يقول: والحقيقة أن المرأة امرأة ؛ وأن الرجل رجل ؛ وتسمية المرأة بالسيدة

على الإطلاق ليس بصحيح . يقول الشيخ : نعم من كانت منهن سيدة لشرفها في دينها أو جاهها أو غير ذلك من الأمور المقصودة فلنا أن نسميها سيدة ؛ سيدة مثلا هذه القرية أو هذه القبيلة أو هذا الحي أو هذا البيت أو هذه الدار ؛ ولكن ليس مقتضى ذلك أننا نسمي كل امرأة سيدة ؛ يعني لا يصح أن نطلق على كل امرأة سيدة.. والآن تجد في بعض الأماكن مثلا الحمامات للسيدات والرجال ؛ سمها حمامات للنساء وحمامات للرجال ؛ أو مثلا شبابيك بيع أو شبابيك في البنوك أو شبابيك بيع الخبز ونحو ذلك ، سمها مكان للنساء ومكان للرجال كما سمى الله جل وعلا في كتابه، عندنا سورة النساء في القرآن العظيم ؛ فتجد في هذه الأماكن قسما خاصا بالسيدات أو منفذا خاصا بالسيدات في الأماكن العامة كالمطارات مثلا أو أماكن المواصلات ونحو ذلك ؛ لا ؛ الشيخ يقول لا يصح أن نطلق السيدة على كل امرأة بل إذا كان هناك امرأة لها سؤدد في قومها أو في دارها أو في محلها لا بأس أن تطلق ذلك مقيدا..

ثم يختم بقوله : أما التعبير بالسيدة عائشة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة وما أشبه ذلك لم يكن معروفا عند السلف ؛ أما إذا قرأت كتب السنن والمسانيد والمعاجم والسير لا تجد أنهم كلما ذكروا أمهات المؤمنين أو صحابة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا السيد فلان والسيدة فلانة ، عندك آلاف الأحاديث في مئات الكتب لا تستطيع أن تخرج منها حديثا واحدا فيه قالت السيدة عائشة أو روى أبو هريرة عن السيدة عائشة أو روى عروة عن خالته السيدة عائشة، فلا تجد هذا ؛ وعندك كتب الأجزاء والمسانيد كمسند أحمد مثلا فيه ما يقارب من ثلاثين ألف حديث لا تستطيع أن تخرج

منه حديثا واحدا في هذا فمن أين أتى الناس بهذا.. يقول الشيخ أن هذا أتى من الغرب ويقول: بل كانوا يقولون أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين خديجة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ونحو ذلك .

وهناك فتوى للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا الأمر نقلها تلميذه الحافظ السخاوي ؛ وهي في كتاب معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد ؛ ينقلها من كتاب الشيخ القاسمي الفضل المبين في شرح الأربعين للعجلوني ؛ يقول : لطيفة : للعلماء اختلاف في زيادة لفظ سيدنا في الصلاة على النبي ﷺ ؛ يعني هل يصح في الصلاة على النبي ﷺ أن تقول سيدنا.. اللهم صل على سيدنا محمد أم لا.. يقول: وقد وقفت على سؤال رفع لأبي الفضل الحافظ ابن حجر في ذلك فأجاب عنه وأجاد وهاكه بنصه : سئل الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عن صفة الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة أو خارج الصلاة سواء قيل بوجوبها أو بندبها هل يشترط فيها أن يصفه ﷺ بالسيادة بأن يقول مثلا: صل على سيدنا محمد أو سيد الخلق أو سيد ولد آدم أو يقتصر على قول : اللهم صل على محمد وأيهما أفضل الإتيان بلفظ السيادة لكونها صفة ثابتة له ؛ أوهل الأفضل عدم الإتيان لعدم ورود ذلك في الآثار.. يعني هل الأفضل الإتيان بالتسييد لأنها صفة ثابتة باتفاق أم الأفضل عدم الإتيان بالتسييد لأنها لم ترد في الأحاديث؟ هذا السؤال وجه لحافظ عصره الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى شارح البخاري فأجاب رضي الله عنه.. كما هنا.. يقول: اتباع الألفاظ المأثورة أرجح ولا يقال لعله ترك ذلك تواضعا منه ﷺ.. وقد يأتي من يقول لك: لا ؛

الرسول ﷺ لا يصلح أن يقول لنا قولوا اللهم صل على سيدنا لأن هذا فيه تعظيم لنفسه وهو ديدنه التواضع ، فهذه شبهة والحافظ ابن حجر يرد عليها يقول :

لا يقال لعله ترك ذلك تواضعا منه ﷺ كما لم يكن يقول عند ذكره ﷺ وأمته مندوبة إلى أن تقول ذلك كلما ذكر.. لماذا؟ لأننا نقول لو كان ذلك راجحا لجاء عن الصحابة ثم عن التابعين.. يعني لو سلمنا أن كلامك هذا صحيح أنه ترك ذلك تواضعا، لماذا لم يفعل ذلك الصحابة رضي الله عنهم بعد ذلك ؛ لماذا لم يفعل هذا أبو بكر الصديق بعد موت النبي ﷺ ولم يفعل هذا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الأئمة ولا الصحابة الكبار ولا التابعون ؛ لأن المحذور الذي أنت تزعمه قد ارتفع بموته ﷺ .

يقول الحافظ : ولو كان ذلك راجحا لجاء عن الصحابة ثم عن التابعين ؛ ولم نقف في شيء من الآثار عن أحد من الصحابة ولا من التابعين أنه قال ذلك مع كثرة ما ورد عنهم من ذلك.. كان بعضهم يقول: حدثني الصادق المصدوق.. كما يقول ابن مسعود.. حدثنا خليلي ﷺ ؛ حبيبي كما في بعض الروايات لكن لم نجد أحدا من الصحابة.. وهذا كلام الحافظ وهو رجل متبحر وأمير المؤمنين في الحديث.. لم نجد أحدا من الصحابة ولا من الأئمة ولا من التابعين صرح بهذا.

يقول : هذا الإمام الشافعي أعلى الله درجته ـ وهو من أكثر الناس تعظيما للنبي ﷺ هو والأئمة الأربعة وأئمة المسلمين ـ قال في خطبة كتابه الذي هو عمدة أهل مذهبه: اللهم صل على محمد.. إلى آخر ما أداه إليه اجتهاده وهو قوله: كلما ذكره الذاكرون..

وهذا مشهور عن الشافعي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون أو غفل عن ذكره الغافلون ؛ لكن لم يقل اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ.

يقول الحافظ : وكأنه استنبط ذلك من الحديث الصحيح الذي فيه «**سبحان الله عدد خلقه**» وقد ثبت أنه ﷺ قال لأم المؤمنين ورآها قد أكثرت التسبيح وأطالته : «**لقد قلت بعدك كلمات لو وزنت بما قلت لوزنتهن**» والحديث في صحيح مسلم . وذكر ذلك.. التي هي الأربع كلمات: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ؛ وكان ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء . هذا نهاية كلام الحافظ ابن حجر الذي ذكره السخاوي .

يعني يمنع أن يسيد الإنسان النبي ﷺ في التشهد أو في الأذان وأيضا يلحق بذلك الأذكار. فالأذكار تقال كما هي ؛ لأن النبي ﷺ عندما علم الصحابة الذكر الذي يقوله إذا أخذ مضجعه وأراد من الصحابي أن يردده ويعيده قال الصحابي : ورسولك الذي أرسلت.. فقال: «**لا ونبيك الذي أرسلت**» مع أن الذي يظهر لأول وهلة أن رسولك الذي أرسلت أقرب ؛ الرسول مرسل ؛ لكنه قال لا ؛ ونبيك الذي أرسلت ؛ فلم يقبل من الصحابي أن يستبدل كلمة نبيك بكلمة رسولك في هذا الذكر.. فالأذكار تبقى كما هي.. ويبقى لك أن تعرف بأن الشرف الذي أوتيه النبي ﷺ إنما أوتيه بتحقيق عبوديته لله جل وعلا وكونه عبدا رسولا.. وقد ذكره الله جل وعلا بلفظ العبودية فسماه عبدا في أشرف المواطن كما نبهنا على ذلك مرارا.. موطن الإسراء ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا**﴾ وهذه كانت من المعجزات.. وموطن المعراج ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ وكذلك موطن إنزال القرآن الكريم ﴿**الحمد لله**

الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾** كذلك موطن التحدي ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة﴾** هذه أشرف المواطن.. أطلق على نبينا ﷺ لفظ العبد وكلمة العبد في أشرف المواطن.. فالسيادة والشرف الذي ناله النبي ﷺ من تحقيقه للعبودية وكونه عبدا رسولا .

قوله : «**السيد الله تبارك وتعالى**» « **قلنا: وأفضلنا فضلا** » يعني فضلك أفضل من فضلنا . « **وأعظمنا طولا** » الطول : هو القدرة والغنى والعطاء..

قوله :« **فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم»** » قيل إن هنا محذوفا ؛ يعني اتركوا بعض قولكم أو دعوا بعض قولكم .

قوله : « **ولا يستجرينكم الشيطان** » يعني لا يتخذنكم رسولا مرشدا إلى القول المنكر .

هذا الحديث رواه أبو داود بسند جيد في كتاب الأدب باب في كراهية التمادح .

قوله : « **وعن أنس رضي الله عنه: أن ناسا قالوا: يا رسول الله** » يا رسول الله: هذا نداء صحيح ؛ يا رسول الله ؛ يا نبي الله ؛ ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾** لا تقل له تعال يا محمد خذ يا محمد ، بل لا بد أن يكون هناك نوع من التشريف والتبجيل.. كما قال مجاهد وقتادة: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بيا محمد ولكن يا رسول الله يا نبي الله.. هكذا في تفسير هذه الآية من سورة النور .

قوله : « **قالوا: يا رسول الله**» هذه صحيحة « **يا خيرنا وابن خيرنا** » هل هو ابن خيرنا بإطلاق؟ الجواب: ابن خيرنا فقط في النسب لأن والد النبي ﷺ مات كافرا فانتفت عنه الخيرية في المقام وإنما الخيرية بقيت له في النسب .

قوله : « **وسيدنا. وابن سيدنا**» يقال فيها نحو ما مضىٰ ؛ يعني سيدنا في النسب فقط لأن نسب النبي ﷺ أشرف أنساب قريش ؛ كما في الحديث الذي في الصحيح.. إذا « **وسيدنا. وابن سيدنا** » في النسب فقط وليس في النسب والمقام لأن والد النبي ﷺ مات كافرا كما في الحديث «**إن أبي وأباك في النار**» وهذا لا يسلم به كثير من الصوفية وغيرهم في هذا العصر يجادل في هذا .

قوله : « **فقال** : «**يا أيها الناس ، قولوا بقولكم** » » يعني يا أيها الرسول ؛ يا أيها النبي « **ولا يستهوينكم الشيطان** » يعني لا يزينن لكم الهوىٰ فتقولوا المنكر.

قوله : « **أنا محمد عبد الله ورسوله** » ﷺ وهذا هو الشرف ، شرفه بأنه عبد رسول.. ففي هذه الكلمة رد علىٰ طائفتين « **أنا محمد عبد الله** » رد علىٰ الغلاة الذين يغلون فيه ويقولون:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

هذا يرد عليه بهذه الكلمة « **أنا محمد عبد الله** » فهو عبد لا يعبد ﷺ ؛ وقال «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» ؛ الكلمة الثانية « **ورسوله** » رد علىٰ كل الطوائف المنكرة لرسالته ونبوته ﷺ ؛ ففي هاتين الكلمتين رد علىٰ كل تلك الطوائف ؛ الغلاة والجفاة ؛ المفَرّطين الذين فرطوا والمفْرِطين ؛ الذين أنكروا نبوته والذين غلوا في حقه حتىٰ أوصلوه إلىٰ مقام الربوبية .

قوله : « **ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله** » منزلته التي أنزله الله أنه عبد رسول .

هذا الحديث رواه أحمد والنسائي وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: رجاله ثقات صححه غير واحد .

« **فيه مسائل:**

الأولى: تحذير الناس من الغلو » سبق الكلام عليها .

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا » ينبغي أن يقول : السيد الله .

الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق » وهذه تحتمل أن تكون إنكارا أو تكون إرشادا إلى الأولى .

الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي» » ومنزلته أنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب ﷺ .